﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ٣١﴾ [الطور: 29 - 31]

❁ مناسبةُ الآيات لِما قَبْلَها:

بيان مآل النّاس يـوم الـقـيـامـة يوجب المواظبةَ عـلـى الـتّـذكـير والتّبشير

لمّا ذكر النّظمُ الجليل حالَ الكافرين وحالَ المؤمنين، وكان ذلك مُشوّقًا إلى الجنّة وما يوصل إليها من الأعمال الصّالحة؛ سبّب عنه الأمرَ بالموعظة الحسنة، والتذكيرَ والتبشيرَ بما يدعو إليه، والمداومةَ عليه، والانصرافَ عن كيد الكائدين ومكر الكافرين[1].

ومنها: لمّا ذكر سبحانه فيما سبق أنّ الفريقين المُصدِّقين والمُكذِّبين مَجْزيّون بأعمالهم، وأنّ الرّسول على الحقّ المبين الذي مَن كذّبه باء بغضب من الله، ومن صَدّقه استحقّ رضوانَ الله ومغفرته. أمر رسولَه في هذه الآيات بالثّبات على التّذكير والموعظة، وعدم المبالاة بما يكيدون له[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِكَاهِنٖ﴾: (كهن) أصلُه إبرازُ لطيفٍ مُستكنٍّ في الباطن أو الغيب، كالإخبار بالمُغيَّبات، فهو تكلُّمٌ عن لطيفٍ، أي: خَفيٍّ ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢﴾ [الحاقة: 42][3]. وتَكَهَّنَ تَكَهُّنًا: قَضَى له بالغَيْب، فهو كاهِنٌ[4]، والكاهِن: الذي يخبر بالأخبار الماضية بضَرْبٍ منَ الظّنّ، كالعَرّاف الذي يُخبر بالأخبار المستقبلة على نحو ذلك[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 21، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 30.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 45.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (كهن).
(4) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (كهن).
(5) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (كهن).

ولقد كَهُنَ، ويقال: كَهَنَ لهم، إذا قال لهم قولَ الكَهَنة[1]. والمراد به في الآية الكريمة: الكاهِنُ الذي يوْهِم النّاسَ أنّه يَعلم الغيب[2].

2) ﴿نَّتَرَبَّصُ﴾: (ربص) أصلٌ يدلُّ على الانتظار[3]. فالتّربُّصُ بالشّيء: أن تَنْتظِرَ به يومًا مّا، والفِعل تربَّصْتُ به[4]. التّربّص: الانتظار. وربصَ بالشّيء ربصًا، وتربّص به: انتظر به خيرًا أو شرًّا[5]. كأن ينتظر غلاءَ سلعةٍ، أو رخصَها، أو أمرًا ينتظر زوالَه أو حصولَه، يقال: تربّصت لكذا، ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [التّوبة: 98][6]. يقال: تربّص بسلعته الغلاءَ، كقوله تعالى: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[7].

3) ﴿رَيْبَ﴾: أصلُ الرّيب يدلُّ على شكّ[8]، وهو أن تتوهّم بالشّيء أمرًا مّا، فينكشف عمّا تتوهّمه، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ [الحج: 5][9].

4) ﴿ٱلْمَنُونِ﴾: فهو من (منن)، وأصلُه يدلّ على قَطْعٍ وانْقِطاعٍ[10]، فالمَنون: الموتُ لأنّه يَمُنّ كلَّ شيءٍ ويَقطعُهُ، والمَنون الدّهر[11]. فهو تعبير عن الموت، أو الدّهر، فقيل للموت المَنون والمَنيَّة؛ لأنّه يُنْقِص العددَ، ويقطع المَددَ[12]. والدّهر يقطع الأعمارَ، كما أنّ الموت يقطع الأمانيَّ واللّذّات[13]. وقوله: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾؛ لأنّ الموت مُشَكّكٌ في وقت حصولِه، فالإنسانُ أبدًا في ريب المنون من جهة وقتِه، ورَيْبُ الدّهر صروفُه، وإنّما قيل: رَيْبٌ لما يُتوَهّم فيه منَ المكر[14]. والمراد به في الآية الكريمة: صروفُ الدّهرِ وحوادثُه، أو حَدَثان الموت[15].

(1) الخليل، العين: (كهن).
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 119.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ربص).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (نزع).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (ربص).
(6) الرّاغب، المفردات: (ربص).
(7) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (نزع).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ريب).
(9) الرّاغب، المفردات: (ريب).
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (منّ).
(11) ابن منظور، لسان العرب: (منن).
(12) الرّاغب، المفردات: (منن).
(13) الخفاجيّ، عناية القاضي: 8/ 105.
(14) الرّاغب، المفردات: (ريب).
(15) الواحديّ، التّفسير البسيط: 20/ 500، 501.

❁ المَعْنَى الإجْماليُّ:

أمرُ الله لرسوله بثّباته على دّعوتهم، ولاعبرةَ باتهاماتهم الباطلة

يأمر تعالى النّبيَّ ﷺ بالثّبات على التّذكير والموعظة وعدم المبالاة بكيد الكائدين، فإنّ حجّتك هي الغالبة؛ فما أنتَ بإنعام اللَّه عليك بالنّبوّة ورجاحة العقل بكاهنٍ يخبر بالغيب دون علم، ولا مجنونٍ لا يعقل ما يقول كما يَدَّعون. ثمّ سلّى رسولَه بذِكْر تناقضِ أقوالهم؛ ليُنَبِّه إلى فساد آرائهم، وإلى أنّهم ما أعرضوا عن الحق إلّا اتّباعًا للهوى، لا اتّباعًا للدّليل والبُرهان، فنسبوه إلى الشّعر والسّحر بعد الكهانة، وانتظروا به نزولَ الموت، فأمرَهُ تعالى بأن يقول لهم: انتظروا موتي فإنّي معكم من المنتظرين بكم العذابَ، وسترون لمن تكون العاقبة[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاء في قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾:

الترغيب والترهيب يقتضي دوامَ التّذكير

افتتح النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ بالفاء، وهي هنا للتّفريع؛ فلمّا بيّن تعالى أنّ من النّاس قومًا يخافون اللّه تعالى، ويُشفقون منه، والنّبيّ ﷺ مأمورٌ بتذكير من يؤمن باللّه تعالى ويخافه، فرّع عليه الأمر بالتّذكير[2].

سرّ اختيارِ التّذكير دون غيره:

التّذكير يحمل معنى الوعظ والإرشاد

آثَر القرآن الكريم التّعبيرَ بالتّذكير في قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾؛ لأنّه يحمل معنى الوعظ والإرشاد، ولسبق ذِكْره في قوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذّاريات: 55]، ولما يحمله من الفائدة للمَدْعوّين، وهي ارعواءُ بعضِ المُكَذّبين عن تكذيبهم، وازديادُ المُصَدّقين في إيمانهم[3]. كما أنّها تُفيد السّببيّة؛ لأنّ التّشويق إلى الجنّة والتّخويف من النّار يُسبّب ملازمةَ التّذكير[4].

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 30، وجماعة من العلماء، التّفسير الميسر: 1/ 524.
(2) إسماعيل حقّي، روح البيان: 9/ 198.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 58.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 21.

دلالة الأمر ﴿فَذَكِّرْ﴾:

وجـوب التّذكير سـبيـلُ نـجـاحِ الـدّعـوة وقَـبـولِ المَدعوين

عبّر النّظمُ الجليل بفعل الأمر في قوله جلّ شأنه: ﴿فَذَكِّرْ﴾، وهو دالٌّ على وجوب التّذكير، والمراد به طلبُ المداومة والثّبات على ما هو عليه من الدّعوة والتّذكير[1]. وفي هذا دلالة على رحمة الله بعباده وحِرْصه على إيمانهم، وذلك بطلب مداومة التّذكير لإخراج النّفس من غفلتها.

نُكْتَةُ حذفِ متعلّق ﴿فَذَكِّرْ﴾:

لـدلالـة السّيـاق عليه وللعِلْم به

حذفَ النّظمُ الجليل متعلّقَ فعلِ التّذكير في قوله جلّ شأنه: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾؛ وذلك للعِلْم به، فالمُراد التّذكيرُ بالقرآن[2]، لأنّ القرآن هو خطاب الدّعوة، وهو الوحي الدّاعي إلى الرّشاد، وهذا ما يدلُّ عليه سياقُ الآيات القرآنيّة.

دلالة الفاء في ﴿فَمَآ أَنتَ﴾:

الأمـرُ بالتذكير دلـيـلُ الـبـراءة وتثبيتٌ للفؤاد

عبّر النّظمُ الجليل بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾؛ لأنّها تدلّ على التّفريع؛ حيثُ فُرِّع على الأمر بالتّذكير تبرئةُ النّبيّ ﷺ ممّا نسبوه إليه من الكهانة والجنون، ليربطَ على جَأْشِه ﷺ، فيكون أثبتَ على التّذكير[3].

نُكْتَةُ النّفي بالجملة الاسميّة دون الفعليّة:

انـتـفـاءُ الكهانة والجنون انتفاءٌ غـيـرُ منـتـقـضٍ بـحـال مـن الأحوال

آثرَ النّظمُ الكريم النّفيَ بصيغة الجملة الاسميّة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ دون الفعليّة، فلم يقل: (فلست بكاهن)؛ وذلك لما في الجملة الاسميّة من دلالة على ثبوت المعنى، فجيء بها دالّةً على كمال المعنى لمناسبة تعظيم من وُجّهت إليه التّهَمُ من الكهانة والجنون، بنفيها عنه ﷺ[4].

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 154، والشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 119.
(2) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 116.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 58.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 59.

دلالة الباء في ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾:

انتفاءُ صفات الكهانة والجنون بسبب نعمة الله عليه ﷺ

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجرّ (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾، وهي هنا دالّةٌ على السّببيّة، أي: انتفى عنك وصفُ الكهانة ووصفُ الجُنون بسبب نعمة الله عليك، بما منحكَ من زيادة العقل، وأنعم به عليك من صدق النّبوّة[1]. ويجوز أن تكون الباء للملابسة، والجارُّ والمجرور في موضع الحال، والعامل فيه (كاهن أو مجنون)، والتّقدير: ما أنت كاهنٌ ولا مجنون متلبّسًا بنعمة ربّك. ويجوز أن تكون للقَسَم؛ فنعمةُ ربِّك مُقْسَم به، وجوابُ القَسَم ما عُلِمَ من الكلام، وهو (ما أنت بكاهن ولا مجنون)، والأقرب أن تكون للسّببيّة[2].

نُكْتَةُ إفرادِ النّعمة وإضافتِها إلى لفظ الرّبوبيّة:

للدلالة الدّلالة على كمال النّعمة

أفرد النّظمُ الجليل لفظةَ النّعمةِ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾؛ للدّلالة على جِنس الإنعام، وإضافتُها لِلَفْظ الرّبوبيّة للدّلالة على كمال هذه النّعمة، وأنّها محضُ إحسانٍ ولُطفٍ به ﷺ[3].

نُكْتَةُ إضافةِ لفظِ الرّبوبيّة إلى ضميره ﷺ:

كمالُ التّشريف بالانتساب إلى الرّبّ المُحسن الكريم

أضاف النّظمُ الجليل لفظَ الرّبوبيّة إلى ضمير المخاطَب المُرادِ به النّبيُّ ﷺ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾؛ وذلك لبيان لطفه تعالى بنبيّه ﷺ؛ لأنّه هو ربّه ويُدبّر له ما فيه نفعُه، كما أنّ الإضافة تُفيد تشرّفَ المضافِ إليه[4].

نُكْتَةُ تقديمِ شبهِ الجملة ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾:

قدّم النّظم الجليل شبهَ الجملة على المسند في قوله جلّ شأنه:

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 8/ 104، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 9/ 198.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 25/ 37.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 59.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 59.

﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾ فلم يقل: (فما أنت بكاهن بنعمة ربّك)؛ وذلك للاهتمام بنعمة الله تعالى عليه، وأنّها بحيثُ تُحيل عليه أن يتّصف بما ذكروه من الأوصاف. فقدّم السّببَ على النّتيجة لأنّه أصلٌ لها، فنعمةُ الله هي السّبب في انتفاء الكهانة والجنون عنه ﷺ.

بنعمة ربِّه لا بغيرها انتفى وصفُ الكهانةِ والجنون

دلالة الباء في قوله: ﴿بِكَاهِنٖ﴾:

عبّر النّظم الجليل بحرف (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾؛لأنها تدل على التّأكيد في نفي الكهانة والجنون[1].

سِرّ اختيارِ الكفرة لوصف (كاهن):

اختار الكفّارُ وصفَ الكهانة ونسبوه إلى الرّسول؛ لأنّ الكاهن هو الذي يدّعي أنّه يعلم الغيبَ بمساعدة الجِنّ، ولمّا كان الرّسول ﷺ يُخبر بالغيب بإعلام الله له، ظنّوا ذلك من قَبيل الكهانة، ولكنّ القرآن نفى ذلك عنه في قوله: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾، بأن الذي يُعْلِمُه بالغيب هو الله.

نُكْتَةُ تنكير (كاهن) و﴿مَجۡنُونٍ﴾:

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن الكاهن والمجنون بالتّنكير في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾؛ لما في التّنكير من دلالة على العموم، فينتفي عنه أيُّ صفاتِ الكاهن بأيّ حالٍ كان، وتنتفي أيُّ سمةٍ من سمات الجنون، فلا يتّصف بشيء ممّا يقال له كهانة أو جنون.

انتفاء صفات الكهانة والجنون انتفاءً مطلقًا

سرّ تقديم الكاهن على المجنون:

قدّم النّظمُ الجليل الكاهنَ على المجنون في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾؛ لأنّ الكاهن أقلُّ نقصًا

الكهانة عمل كسبيٌّ اختياريٌّ، والجنون غيرُ مكتَسَب

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 59.

من المجنون في العقل، فالكاهنُ يقول كلامًا أكثرُه فارغٌ وتحكّم على المُغيّبات، والمجنونُ يقول كلامًا لا نظامَ له مع الإخبار ببعض المغيّبات[1]. كما أنّ الكاهن أشدُّ ذنبًا وضَرَرًا؛ لما له من سلامة العقل، وهي مناط التّكليف.

سرّ إعادةِ النّفي بحرف (لا):

كرّر النّظمُ الجليل النّفي في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾، فلم يقل: (بكاهن ومجنون) من غير (لا)؛ وذلك للمبالغة في النّفي؛ لأنّها تنفي في كلّ الأزمنة؛ في الماضي والحاضر والمستقبل، وليجعلَ لكلّ وصفٍ نفيًا مستقلًّا، وهذا أبلغ في النّفي. والمراد من هذا النّفي: إبطالُ نسبتِه ﷺ إلى ذلك[2]. وفي النّفي بـ (لا) دلالةٌ على فصل كلٍّ منهما عن الآخر، أي: لا كهانة ولا جنون ولا كلاهما.

كلّ صفة منفيّة على وجه الاستقلال والكمال

سرّ زيادة نفي الكهانة مع الجنون في سورة الطّور بخلاف سورة القلم:

النّاظر في سورة الطّور يجد قولَه تعالى: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾، وفي سورة القلم ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [القلم: 2]؛ فزاد في سورة الطّور نفيَ الكهانة، والسّرّ في ذلك راجع إلى سياق السّورتين؛ فسورةُ الطّور مبنيّة على تفصيل أقوال الكفّار؛ فذَكَروا أنّه شاعر وأنّه مجنون وأنّه تقوّلَ القرآنَ إلى غير ذلك ممّا ذكروا؛ أمّا في سورة القلم فلم يَذْكر إلّا قولَهم أنّه مجنون؛ لذلك ناسب الاكتفاءُ بنفي الجنون في أوّل السورة بقوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [القلم: 2].

دلالة التّعبير بـ ﴿أَمْ﴾ دون (بل):

عبّر النّظمُ الجليل بـ ﴿أَمْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 21.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 59.

﴿تَتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾، وهي هنا منقطعة مفيدة للإضراب الانتقاليّ، فانتقالُ الحديثِ من اتّهامهم إيّاه بالكهانة والجنون المنفيّين في الآية السّابقة إلى إنكار اتّهامهم إيّاه بالشّاعريّة[1]. ولم يعبّر النّظم بـ (بل) وهي الأشهر في الإضراب الانتقاليّ، وذلك لأنّ ﴿أَمْ﴾ تتضمّن الاستفهامَ. والمعنى: بل أيقولون شاعر؟[2].

بلاغة الاستفهام بـ ﴿أَمْ﴾:

إنكار نسبةِ صفةِ الشّاعريّة

دلّ الاستفهامُ المُتضمَّنُ في ﴿أَمْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ على الإنكار، أي: إنكارِ اتّهامه بالشّعر[3]. فالاستفهامُ المُتضمّن في همزة ﴿أَمْ﴾ مستعملٌ للإنكار، وهذا بدلالة المقام[4].

بلاغة الانتقال إلى إبطال صفة الشّاعريّة:

تبرئة النّبيّ ﷺ من كلّ اتّهام

انتقل النّظمُ الجليل من إبطال صفَتي الكهانة والجنون إلى إبطال صفة الشّاعريّة في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾؛ وذلك لأنّهم اتّهموه بكلّ ذلك ﷺ، فأنكر النّظمُ صفتَين، ثمّ أتبعَهما بصفة ثالثة[5]. وفي هذا دلالةٌ على براءته ﷺ من كلّ الاتهامات، وثبوتِ كلّ الكمالات البشريّة له ﷺ.

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿يَقُولُونَ﴾:

ديـدَنُ الكافرِ الاتّهام وإثارةُ الشّبهات

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن القول بالفعل المضارع في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾؛ للإشارة إلى أنّهم يُردّدون هذا الاتهام مرّاتٍ تِلْوَ مرّات، وللتّسجيل عليهم بجهلهم المُستمرّ، وإصرارِهم على وصف الحقّ بصفات الباطل[6].

(1) المطعني، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 162.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 60.
(3) الإيجي، جامع البيان: 4/ 204.
(4) المطعني، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 162.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 61.
(6) المطعني، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 162.

وفيه استحضارٌ لمزاعم أهلِ الكُفْر وتقوّلِهم على رسول الإسلام في كلّ وقت وحين.

سرّ التّعبير بلفظ ﴿شَاعِرٌ﴾ مُنَكّرًا:

لا يقول الكلامَ العجيب إلّا شاعرٌ بليغ عظيم

ذكر القرآنُ الكريم مقولةَ أهلِ الكفر في وصفهم لرسول الله ﷺ بأنّه شاعرٌ توهّمًا منهم بأنّ هذا الكلام البليغ لا يتأتى إلّا ممّن له ملكةُ البيان وفصاحة اللّسان، وهذا في الغالب يكون للشّعراء في زعمهم، وليس الأمر كذلك لوجود فرقٍ بين كلام البشر وكلام ربّ البشر، وممّا يُؤكّد زعمَهم أنّه شاعر بليغ أنّه جاء لفظ ﴿شَاعِرٌ﴾ مُنكّرًا في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾؛ للدّلالة على المبالغة في الوصف، أي: أنتَ شاعر "فصيح بليغ، قد بلغتَ إلى درجة أعلى من البلاغة، بحيثُ قد عجز عن معارضتك أقرانُك من البلغاء"[1]. ولفظُ الشّاعر في الجملة مسند، والمسنَد إليه محذوف، وذلك للإيجاز في التّعبير[2].

دلالة التّعبير بـ﴿نَّتَرَبَّصُ﴾ مادّةً وصيغةً:

التّربّص انتظارُ مخصوصٍ بوقوع الشّرّ

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ التّربّص في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ دون الانتظار لوجود فرقٍ بينهما؛ فالتّربُّصُ أن تنتظر بالشّيء خيرًا أو شرًّا، وأن تنتظرَ به يومًا ما[3]. أمّا الانتظار فأصلُه يدلّ على تأمّلِ الشّيء ومعاينته، ومنه الانتظارُ، كأنّه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه[4]. ومعنى انْتَظَرْتُهُ: أخَّرْتُهُ[5]. وهو يدلّ على الإمهال والانتظار، فإنّ التّفحّص والتّأمّل يستغرق زمنًا[6]. فالتّربّص انتظارٌ مخصوص لا مطلق الانتظار، ففي الآية كانوا ينتظرون موتَه ﷺ، فهو انتظار مخصوص؛ لذلك كان التّعبيرُ

(1) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 359.
(2) المطعني، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 162.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ربص).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نظر).
(5) الرّاغب، المفردات: (نظر).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (نظر).

بالتّربّص دونَ الانتظار، وجاء التّعبيرُ بصيغة التّفعّل للدّلالة على المبالغة في الانتظار[1].

دلالة الباء في قوله: ﴿بِهِۦ﴾:

عبّر النّظم الجليل بحرف (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾، وهي هنا صالحةٌ أن تكون بمعنى السّببيّة، أي: نتربَّصُ لأجلِه، ويجوز أن تتعلّق بقوله: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾، أي: نتربّص وقوع ريب المنون به، فتكون للملابسة[2].

تـربّـصـهـم به بسبب نبوّته ﷺ

دلالة تقديمِ شبهِ الجملةِ:

قدّم النّظمُ الجليل شبهَ الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾؛ لأنّ النّبيّ ﷺ هو المقصود بالانتظار والتّربّص؛ فقدّم ما هو الأهمّ على الفعل.

رسـولُ الـلـه هـو المـقـصـود بـالـتّربّـص من الكافرين

دلالة التّعبير بلفظ ﴿رَيْبَ﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ الرّيب في قوله جلّ شأنه: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾؛ للدّلالة على حوادث الدّهر، أو الموت.

حـوادثُ الـدّهـر ونوائبُه طارئةٌ لا تلبث أن تزول

بلاغة الاستعارة في قوله: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾:

تظهر بلاغة الاستعارة في إطلاق ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ على الحوادث والشّكّ على وجه الاستعارة التّصريحيّة، فشبّهت الحوادثَ بالرّيب؛ لأنّها لا تدوم ولا تبقى على حال، كما أنّ الشّكّ كذلك[3].

شُبّهت الحوادثُ بالرّيب؛ لأنّها لا تـدوم ولا تبقى على حال

بلاغة الإضافة في ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾:

أضاف النّظمُ الجليل لفظَ الرّيب إلى المنون في قوله جلّ شأنه: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾، والإضافة - إذا كان المنون بمعنى الموت- بيانيّةٌ بمعنى (مِن)، فالمعنى: ننتظر به الحَدَثان، وهو الموت.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 61.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 61.
(3) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 294.

وإذا فُسّر المنون بالدّهر فالإضافة على أصلها، أي: أحداث الدّهر، كموتٍ، أو خروجٍ من البلد، أو تركِ دعوته[1].

سرّ التّعبير بالمنون:

الموت يقطع الأماني والدّهر يقطع الأعمار

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ المنون في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾؛ لدلالته على قَطْعٍ وانْقِطاعٍ[2]، فهو تعبيرٌ عن الموت، أو الدّهر، فقيل للموت المَنون والمَنيَّة؛ لأنّه ينقص العدد، ويقطع المَدد[3]. والدّهر يقطع الأعمار، كما أنّ الموت يقطع الأمانيّ واللّذّات[4].

نُكْتَةُ فصل قوله: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ﴾:

الحوارُ لا يحتاج إلى عطف

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ دون أن يعطفها في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾؛ لأنّها واردة في سياق محاورة، فهي مسبوقة بجملة: ﴿يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[5]. فأغنى ترابطُ الحوار عن العطف لبيان الاتّصال.

دلالة الأمر في قوله: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ﴾:

تهديد الكافرين بالخُسران

عبّر النّظمُ الجليل بفعل الأمر في قوله جلّ شأنه: ﴿تَرَبَّصُواْ﴾ للدّلالة على التّهديد[6]، كما يدلّ على التّهكّم بهم[7]، فليس وراءَ الانتظار غير خسارتهم وظهورِ أمره ﷺ.

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَإِنِّى﴾:

وقوع التّربّص من الكافرين يتبعه تربّصٌ من النّبيّ ﷺ

عبّر النّظمُ الجليل بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾؛ لدلالتها على التّفريع، والمعنى: فلمّا أمرهم على وجه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 61.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (منّ).
(3) الرّاغب، المفردات: (منن).
(4) الخفاجيّ، عناية القاضي: 8/ 105.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 62.
(6) ابن جزي، التّسهيل: 2/ 313.
(7) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 105.

التّهديد والوعيد بالتّربّص، فرّع عليه الإخبارَ بأنّه منتظرٌ معهم، أي: إنّي متربّصٌ بكم كذلك، ولا ندري أيُّنا يصيبُه ريبُ المنون قبلُ[1]. كما أنّها تدلّ على السّببيّة، فالأمر بالتّربّص سبّب الإخبار بأنّه متربّص معهم[2].

غرض التّوكيد بـ (إنّ) والجملة الاسميّة:

مجاراة الخصم في زَعْمِه

أكّد النّظمُ الجليل الخبرَ في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾، فجاء به جملةً اسميّة مصدّرة بحرف التّأكيد (إنّ)، وذلك لأنّه نزّل المخاطَبين منزلةَ مَن ينكر تربُّصَه بهم؛ لأنّهم لغرورهم اقتصروا على أنّهم يتربّصون به ليَروا هلاكَه[3].

سِرّ التّعبير بقوله: ﴿مَعَكُم﴾، دون فيكم:

عبّر النّظمُ الجليل بظرف المعيّة (مع) في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ دون (فيكم)؛ لأنّ المعيّة هنا تُشير إلى أنّه ﷺ مساوٍ لهم في الانتظار، وذلك لأنّهم ظنّوا أنّهم أقوياء لكثرتهم، وأنّه ضعيف لوحدته، فبيّن أن الأمرَ خلافُ ذلك[4]، ولو قال: (فيكم) فقد يُتَوهَّم أن يكون المعنى أنّه وإيّاهم يتربّصون أمرًا واحدًا. أمّا التّعبير بالمعيّة فإنّه يدلّ على أنّه ﷺ يتربّص ما ينزل أو يحلّ بهم من هلاك ودمار، ووقعَ ذلك لهم في غزوة بدر.

دلالة التّعبير بـ ﴿مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ دون (متربّصًا):

التّربّص ضمنَ جماعةٍ أدلُّ على قوّة التّربّص

آثر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بأنّه من جنس المتربّصين، دونَ الإخبارِ بأنّه متربّصٌ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ لأنّه أبلغ[5]؛ فكونه من جملة المتربّصين يدلّ على كثرتهم، وأنّ انتظاره بليغ بحيثُ أهّلَه أن يكون من زمرة المتربّصين.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 62.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 253.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 62.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 23.
(5) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 253.

دلالة التّعبير بالمتربّصين تعريفًا وصيغة:

انتظار النّبيّ ﷺ على وجه مبالغة الكمال

عرّف النّظمُ الجليل المتربّصين بالألف واللّام في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾؛ للإشارة إلى أنّه ﷺ يتربّص بهم ريبَ المنون في جملة المتربّصين من المؤمنين. وجاء التّعبير بصيغة اسم الفاعل للدّلالة على رسوخه في التّربّص[1].

بلاغة جناس الاشتقاق في ﴿نَّتَرَبَّصُ﴾، ﴿تَرَبَّصُواْ﴾، ﴿ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾:

التّربّص لا يَؤول إلّا لإظهار نُصرة الحَقّ

جمع النّظمُ الجليلُ في سياق واحد ثلاثةَ ألفاظ من مادّة التّربّص في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾، على سبيل الجناس الاشتقاقيّ، وجمع تلك الألفاظ تأكيدٌ على معنى الانتظار، وأنّه سيظهر الحقُّ ويبين المُحِقّ.

❁ الفُروق المعْجَميّة:

الكاهِن والسّاحر:

السّحرُ خدعة وحيلة، والكهانة الإخبار بالغيب

السّاحِر أصلُه يدلُّ على خَدْعٍ وشِبْهِه[2]، وحقيقةُ السِّحْرِ: صَرْفُ الشَّيءِ عَنْ حَقيقَته إلى غَيْرِه، فكأنَّ السّاحِرَ لَمّا أرَى الباطلَ في صورَةِ الحَقِّ، وخَيَّلَ الشَّيءَ على غيرِ حَقيقَته، قَدْ سَحَرَ الشَّيءَ عَنْ وجْهه، أيْ: صَرَفَهُ[3]. أمّا الكاهنُ فأصلُه يدلّ على إبراز لطيفٍ مُستكنٍّ في الباطن أو الغيب؛ كالإخبار بالمغيَّبات، فهو تكلُّمٌ عن لطيفٍ، أي: خَفيٍّ[4]. وهو الذي يُخبر بالأخبار الماضية بضرب من الظّنّ، كالعرّاف الذي يخبر بالأخبار المستقبلة على نحو ذلك[5]. فالسّحرُ قائم على الخِداع، وأمّا الكهانة فهي الإخبار بالغيب رجمًا.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 23.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سحر).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سحر).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (كهن).
(5) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (كهن).

وناسب أن يعبّر بالكهانة في هذا الموضع دونَ السّحر؛ لأنّ السّياق في الحديث عن يوم القيامة، وهو من الغيب، فناسبَ أن ينفيَ عنه الكهانة لذلك.

التّربّص والانتظار:

التّربّص انتظار مخصوص، فهو انتظارُ وقوعِ شيءٍ بشي

التّربص أن تنتظر بالشّيء خيرًا أو شرًّا، وأن تنتظر به يومًا ما[1]. أمّا الانتظار: فأصلُه يدلّ على تأمّلِ الشّيء ومعاينته، ومنه الانتظار، كأنّه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه[2]. ومعنى انْتَظَرْتُهُ: أَخَّرْتُهُ[3]. وهو يدلّ على الإمهال والانتظار، فإنّ التّفحّص والتّأمل يستغرق زمنًا[4]. فالتّربّص: انتظارٌ مخصوص، لا مطلقُ الانتظار، ففي الآية كانوا ينتظرون موتَه ﷺ، فهو انتظارٌ مخصوص.

(1) ابن منظور، لسان العرب: (ربص).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نظر).
(3) الرّاغب، المفردات: (نظر).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (نظر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"